والمراقبة ، جاءت هذه بأضدادها وأخرجتها فى عدة قوالب ، وتقسم بالله ما مرادها إلا الإحسان والتوفيق ، والله يعلم إنها كاذبة ، وما مرادها إلا مجرد حظها واتباع هواها والتفلت من سجن المتابعة والتحكيم والمحض للسنة إلى قضاء إرادتها وشهوتها وحظوظها ، ولعمر الله ما تخلصت إلا من قضاء المتابعة والتسليم إلى سجن الهوى والإدارة وضيقه وظلمته ووحشته ، فهى مسجونة فى هذا العالم ، وفى البرزخ فى أضيق منه ، ويوم المعاد الثانى فى أضيق منهما .

□□□

ومن أعجب أمرها إنها تسحر العقل والقلب فتأتى إلى أشرف الأشياء وأفضلها وأجلها فتخرجه فى صورة مذمومة ، وأكثر الخلق صبيان العقول أطفال الأحلام لم يصلوا إلى حد الفصام الأول عن العوائد والمألوفات ، فضلا عن البلوغ الذى يمر به العاقل البالغ بين خير الخيرين فيؤثره ، وشر الشرين فيتجنبه فتريه صورة تجريد التوحيد التى هى أبهى من صورة الشمس والقمر فى صورة التنقيص المذموم ، وهضم العظماء منازلهم وحطهم منها إلى مرتبة العبودية المحصنة ، والمسكنة والذل والفقر المحض ، والذى لا ملكة لهم معه ولا إرادة ولا شفاعة ، إلا من بعد إذن الله ، فتريهم النفس الأمارة هذا القدر غاية تنقيصهم وهضمهم ، ونزول أقدارهم وعدم تمييزهم عن المساكين الفقراء فتنفر نفوسهم من تجريد التوحيد أشد النفار ، ويقولون : « أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب » .

□□□

وتريهم تجريد المتابعة للرسول وما جاء به وتقديمه على آراء الرجال فى صورة تنقيص العلماء والرغبة عن أقوالهم ، وما فهموه عن الله ورسوله ،